ـية بداية النهاية

العسكرية. وبسرعة كبيرة، استعاد المدن التي سقطت بأيدي الثوار خلال الأيام الأولى في الغرب والشرق، مثل الزاوية والبريقة وأجدابيا، وتبين ميدانياً أنه يمتلك أوراق قوة عسكرية لم تكن ظاهرة في الأسبوع الأول، حتى إن العديد من الأوساط الدولية شككت بأن القذافي يقاتل منفرداً، وساد الاعتقاد بأنه قد يكون حصل على دعم عسكري نوعي من بعض البلدان، ووجهت أصابع اتهام إلى كل من الجزائر وسوريا. لكن طبيعة الهجمات التي شنتها قواته تسقط هذا الاحتمال، وتذهب الى واقع آخر وهو أن القذافي، ربما، استفاد من عمقه القبلي في الدرجة الأولى، بعدما استوعب صدمة الحدث.

التقدم العسكري الذي حققه العقيد وضع الغربيين أمام ثلاثة خيارات. الأول هو أن يتركوه يكمل حربه حتى النهاية، ويسقط مدينة بنغازي القلعة الأخيرة لمعارضيه، وهذا الخيار ذو عواقب خطيرة، أقلها ارتكاب مجازر في مدينة مكتظة بالسكان. ولا سيما أن أنصار القذافي يتقدمون على طريق استراتيجية الأرض المحروقة، وتبيّن من خلال المشاهد التي نقلتها عدسات التلفزيونات في المدن التي سيطرت عليها كتائب القذافي أن القصف لم يوفر المدنيين ولا المنشآت الاقتصادية، وكانت الخسائر أقل في صفوف المقاتلين المعارضين، الذين كانوا ينسحبون كلما وجدوا أنهم لا يستطيعون الصمود.

والخيار الثاني أن يتوصل الغربيون مع القذافي إلى حل وسط يوقف بموجبه العقيد القتال ويصدر عفواً عاماً، وبدرت مساعي من هذا القبيل معطوفة على وساطة تشافيز، قام بها الأتراك، لكن الغربيين أدركوا أن ثمن هذا الخيار هو أن يعترفوا بانتصار العقيد، وهذا أمر تترتب عليه عواقب لاحقة، منها أنه سيعيد النظر بعلاقاته مع الغرب، على صعيد العقود الاقتصادية، كما سيتراجع عن التزاماته السابقة حيال الإرهاب ومكافحة الهجرة.

أما الخيار الثالث فهو الحرب، لذا تحرك الغربيون في اللحظة الأخيرة، وذهبوا الى تشريع التدخل من خلال مجلس الأمن الدولي، وجرى تكوين تحالف غربي عربي، وفر غطاء للعمليات العسكرية التي انطلقت مساء أول من أمس، وكانت الطائرات العسكرية الفرنسية هي التي بادرت الى توجيه الضربة الأولى.

تحالف اليوم ينمّ عن مفارقة كبيرة، فهو مختلف عن التحالفات الكبرى التي حصلت في السنوات الأخيرة، وتحديداً ضد العراق ويوغوسلافيا. ففي سنة 1991 تمكن جورج بوش الأب من تأمين حشد دولي واسع بقرار من مجلس الأمن، وشاركت فيه أطراف واسعة بما فيها جيوش الدول العربية، لكنه وقف عند إخراج القوات العراقية من الكويت، ولم يدخل بغداد وترك الرئيس العراقي صدام حسين محاصراً في بغداد ومحيطها، وبالتالي لم تسجل واشنطن على نفسها سابقة التدخل في شؤون بلد مستقل. والتحالف الثاني هو الذي حصل سنة 1999 ضد الرئيس اليوغوسلافي سلوبودان ميلوسوفيتش، وجرى من حوله توافق غربي، لكن روسيا والصين وقفتا خارجه، وتم بعيداً عن مجلس الأمن وجرى إخراجه في الإطار الأطلسي، وظل إشكالياً لجهة القانون الدولي، وهو في جزء منه يشبه مبررات التدخل في ليبيا، من زاوية إيقاف حرب التطهير التي شنها الصرب ضد أهل كوسوفو.

> العديد من الأوساط الدولية شككت بأن القذافي يقاتل منفرداً
>
> القذافي شرع أبواب التدخل الغربي حين واصل الهجوم على بنغازي

وفي سنة 2003، لم تنجح واشنطن في تأمين إخراج تحت مظلة الأمم المتحدة لغزو العراق وإسقاط صدام، وأفشل مسعاها التحالف الفرنسي الروسي الألماني، ولذا بقيت لدى الرئيس الأميركي السابق جورج بوش غصة كبيرة، لأنه ذهب الى خيار الحرب من دون غطاء دولي، وبعيداً عن فرنسا ذات الثقل والتأثير في مناسبات من هذا القبيل.

في الحالة الليبية، بدت فرنسا هي المتحمسة والولايات المتحدة هي المترددة، بينما سارت لندن الى جانب باريس، وهي التي كانت تقوم بدور التابع لواشنطن. وبين تردد الإدارة الأميركية وحماسة الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي للحرب، تظل هناك منطقة رمادية مفتوحة على احتمالات شتى.

تردد واشنطن حكمه اعتباران. الأول هو خشية إدارة أوباما من العواقب التي قد تترتب على التدخل العسكري، وبرزت تقديرات أميركية تفيد بأن هزيمة القذافي ليست بالأمر السهل، بل إن بعض الساسة لفتوا انتباه الرئيس باراك أوباما إلى أنه يكفي الولايات المتحدة تورطان في العراق وأفغانستان. والاعتبار الثاني هو أن ليبيا لم تكن مصدر إزعاج للولايات المتحدة، بل إن العقيد القذافي برهن عن انضباط شديد منذ أن اتّعظ بنهاية صدام حسين وتخلى سنة 2003 عن برنامجه النووي، وسلّم كل ما بحوزته من ملفات تتعلق بالإرهاب، ودخل في شراكة مع الغرب في الحرب على الإرهاب ومكافحة الهجرة غير الشرعية، وفتح بلاده أمام الشركات النفطية الغربية. ويضاف الى هذا أن حاجة أميركا إلى النفط الليبي غير واردة في المدى المنظور، عدا عن أن السعودية بادرت الى سد النقص في الأسواق العالمية من جراء تراجع صادرات النفط الليبي.

حماسة ساركوزي لها أكثر من مبرر. أهمها أن الرئيس الفرنسي يعتقد أن النصر على العقيد القذافي أمر متاح، وهذا سوف يرفع من رصيده الداخلي في الشارع الفرنسي، ويساعده على بدء حملته للانتخابات الرئاسية المقررة في أيار من السنة المقبلة، وهو يمسك بيده ورقة إطاحة ديكتاتور يذبح شعبه، في بلد يعوم فوق احتياطي خيالي من الثروات التي سيكون للشركات الفرنسية منها النصيب الأوفر، في وقت تعاني فيه فرنسا من أزمة اقتصادية حادة، وفشل في الحصول على عقود اقتصادية مجزية في الخليج، وخصوصاً في العراق.

ما كان لحماسة ساركوزي أن تقود وحدها إلى الحرب، لو لم يقدم القذافي المبرر الشرعي، من خلال مراوغة قرار مجلس الأمن الرقم 1973، الخاص بحماية المدنيين. لقد أحرج الغربيين بقبوله القرار، لكنه شرّع أمامهم أبواب العمل العسكري حين واصل هجومه أول من أمس على مدينة بنغازي.

مجلس الجامعة، عندما تحفّظت بعض الدول على الدعوة إلى فرض منطقة حظر طيران. وبات التباين أوضح عند بدء العمليات العسكرية. ونقل عن عمرو موسى قوله بـ«ضرورة تنفيذ القرار 1973 بحذافيره»، وأن الجامعة العربية لا توافق البتة على «احتلال ليبيا». أما وزير الخارجية العراقي هوشيار زيباري، فشدد خلال القمة على أن «منطقة حظر الطيران لا تكفي لوقف قمع الثوار». وأشار إلى ما حصل في العراق بعد 1991 حيث لم يمنع إقرار منطقتي حظر طيران صدام من التنكيل بالمعارضة. إلا أن حديثه إلى الصحافيين جاء مخالفاً، إذ قال «إن حظر الطيران هو عمل وقائي لأهداف إنسانية، وإن العراق «يعارض أي احتلال أو تقسيم لليبيا».

وبدا أن فرنسا أرادت، والقوتان الأساسيتان المشاركتان معها في الحملة، رفع أو تخفيف هذه الهواجس، إذ حمل خطاب الرئيس ساركوزي تلويحاً بإمكان العودة إلى إطار الدبلوماسية، بعدما طمأن إلى أن هدف الحملة هو «التصدي لكل عدوان تقوم به طائرات العقيد القذافي ضد المدنيين»، وأنها «ستتدخل ضد الدبابات التي تهدّد المدنيين العزّل». وعاد وتوجّه إلى العقيد القذافي، تاركاً الباب مفتوحاً للتفاوض «ولتحاشي الأسوأ»، إلا أنه وضع شرط «الاستجابة فوراً، من دون أي تحفّظ أو تردّد، لمتطلّبات المجتمع الدولي». وأكد ساركوزي أن «باب الدبلوماسية سيفتح مجدداً عندما تتوقف الاعتداءات».

ويرى المراقبون أن هذه الحملة جاءت في وقت ملائم جداً لساركوزي، إذ إن شعبيته باتت في الحضيض، والإنتقادات الموجهة إلى دبلوماسيّته غطّت صفحات الإعلام، وخصوصاً تجاهله لثورتي تونس ومصر. ساعده في ذلك «انقلاب الموقف الأميركي» الذي جاء نتيجة لـ«قراءة جديدة للواقع العربي المتدهور». وتشير مصادر إلى أنه وُضع في الأسابيع الماضية «ترتيب جديد لكيفية التعاطي لحفظ المصالح الأميركية في المنطقة»، وقد ظهر ذلك واضحاً في الضغط العاطفي الإعلامي والمباشر الذي مورس لإقرار الجامعة العربية طلب الحظر الجوي، ثم «تدخّل السعودية في البحرين مباشرة كأنه مرآة لتدخّل في ليبيا». يضاف إلى ذلك «القلق الغربي الكبير من الوضع في اليمن»، الذي يمكن أن يقود إلى «تدخل غربي جديد» في المنطقة العربية. ويقول في هذا الصدد أحد الدبلوماسيين «لقد تجاوز أوباما عقدة عدم التدخّل، وبات كل شيء ممكناً» أمام ما يحصل في العالم العربي، وخصوصاً «عودة قيمة النفط بتراجع الثقة بالنووي».

موسى وساركوزي في قصر الإليزيه أول من أمس (لان لانغسدون ـ رويترز)

تركيا تفتّش طائرة إيرانيّة ثانية

أعلن مصدر أمني تركي، أمس، أن طائرة شحن إيرانية متوجهة الى سوريا أُجبرت أول من أمس على الهبوط في جنوب شرق تركيا لتفتيش حمولتها.
وقال المصدر إن طائرة «اليوشين» مدنية هبطت في مطار دياربكر بأمر من السلطات التركية، التي وضعت طائرات مطاردة في حال تأهب، في حال رفض الطائرة الإيرانية الامتثال للأمر. وبدأ تفتيش الطائرة التي وردت معلومات بشأنها، للاشتباه في نقلها معدات عسكرية أو مواد ممنوعة.
وهي ثاني طائرة نقل إيرانية ترغم على الهبوط في تركيا للتفتيش خلال أسبوع.
(أ ف ب)

تظاهرات أميركيّة ضدّ الحرب

تظاهرت العديد من المدن الأميركية، أول من أمس، بدعوة من تحالف «آنسر» الذي يضم مئات المنظمات المناهضة للحرب، وذلك في الذكرى السنوية الثامنة للحرب الأميركية على العراق. وهتف المتظاهرون في لوس أنجليس وسان فرانسيسكو وشيكاغو وواشنطن ضدّ مواصلة الحرب، مطالبين بسحب القوات الأميركية من العراق فوراً،

وإنهاء الحرب في أفغانستان.
وحمل أكثر من 1500 متظاهر لافتات أمام البيت الأبيض تندّد بالحرب. وقال منظمو التظاهرة إن النفقات العسكرية، بما فيها مواصلة الحرب، وشراء الأسلحة ستكلف هذا العام نحو تريليون دولار، فيما يعاني أكثر من 30 مليون أميركي البطالة، وخفضاً في ميزانيات البرامج الاجتماعية.
ودعا المتظاهرون إلى وقف الدعم الأميركي لإسرائيل، والإفراج عن الجندي المتهم بتسريب وثائق موقع «ويكيليكس» برادلي مانينغ (الصورة). وشارك في التظاهرة المسؤول السابق في وزارة الدفاع دانيال إيلسبيرغ، الذي كشف في 1971 وثائق سرّية بشأن الحرب في فيتنام، واعتُقل إلى جانب 113 شخصاً آخرين أول من أمس بتهمة الإخلال بالنظام العام.
(الأخبار)